

شبح الحرب يلوح في أفق أردوغان

توقعات باندلاع مواجهة تركية يونانية وشيكة في بحر إيجه

بعد أن أعلنت البحرية اليونانية نشر بوارج عسكرية في بحر إيجه ودخولها حالة التأهب بسبب الأنشطة التركية لاستكشاف موارد الطاقة، يتوقع المتابعون اندلاع مواجهة وشيكة بين تركيا واليونان، قد يصعب احتواؤها، ما سيفاقم من منسوب التوتر ويؤجج النزاعات الإقليمية أكثر فأكثر.

إسطنبول - يحذر متابعون من أن خطر المواجهة المباشرة بين دول شرق البحر المتوسط يزداد في ظل استمرار سياسة الرئيس التركي رجب طيب أردوغان الاستفزازية، وتأتي التحذيرات بعد أن أطلقت البحرية التركية إخطارا يُعرف باسم نافتكس لإجراء مسح اهتزازية في المنطقة بين قبرص وكريت. وأكدت مصادر عسكرية يونانية لصحيفة كاتيميريني أنه إذا لامست سفينة الأبحاث السيزمية التركية "أوروج ريس" الجرف القاري اليوناني، فستتحمل تركيا المسؤولية الكاملة والحصرية" عما سينجر عن ذلك. وأوضحت المصادر نفسها أن القوات المسلحة اليونانية ضاعفت من استعدادها ردا على قرار أنقرة بإرسال ثلثي الأسطول التركي إلى بحر إيجه. كما أشارت إلى أن الإخطار جاء بعد فترة وجيزة من الذكرى 46 للتدخل التركي في قبرص تحت اسم "عملية سلام قبرص"، وفي فترة كان يجب أن تقتصر على إجراءات بناء الثقة بين اليونان وتركيا.

تصعيد مستمر

إمام تواصل التوترات، يتوقع الباحث في جامعة ساو باولو والخبير في الشؤون التركية، كارابكير أكويونلو، في حوار مع ياوز بيدير رئيس تحرير أحوال تركية، أن نذر حرب تلوح في أفق أردوغان، قد تندلع مع التنافس بشأن حقوق التنقيب عن المواد الهيدروكربونية والحدود البحرية، "حتى لو لم يكن أي من الأطراف مهتما بها". ورأى إن التوتر بين الدول المعنية، وخاصة تركيا واليونان وقبرص وإسرائيل ومصر، قد يصل إلى ذروته ليصبح من المستحيل احتواؤه"، ليتحول إلى نوع من الديناميكيات "التي قد تتجه نحو المواجهة المباشرة".

وأفادت صحيفة بيلد الألمانية أن المستشار الألمانية أنجيلا ميركل أبطلت مواجهة عسكرية محتملة بين تركيا واليونان مساء الثلاثاء، وإضافة إلى التصعيد في شرق المتوسط يشير أكويونلو إلى أن الحروب بالوكالة مستمرة في سوريا بالفعل، لكننا نتحدث عن تطور محتمل للمواجهة المباشرة بين الجيشين السوري والتركي هناك وهو ما حدث إلى حد ما".

وأضاف أن الوضع في بحر إيجه وليبيا "ليس بالضرورة علامة على رغبة مصر أو اليونان في شن حرب مباشرة"، ولكنه تطور لا مفر منه. وقال إن شبح هذه المواجهة أصبح أكثر وضوحا. وتساعدت التوترات بين تركيا واليونان مرة أخرى حول حقوق التنقيب عن المواد الهيدروكربونية في شرق البحر المتوسط. حيث تؤكد تركيا أن لها وللدولة القبرصية التركية الانفصالية في ثلث الجزيرة الشمالي الحرق في حدود مياه إقليمية أوسع. وطلقت البحرية التركية إخطارا يُعرف باسم نافتكس لإجراء مسح اهتزازية في المنطقة بين قبرص وكريت. وتعد تلك المسوحات جزءا من التحضير لعمليات التنقيب في شرق المتوسط. وقالت الخارجية اليونانية إن نافتكس يشمل جزءا من الجرف القاري اليوناني. وبلغت أكويونلو إلى إن ميلول تركيا العسكرية العدوانية الحالية تذكرنا

بالتسعينات، حيث عادت بعض من أبرز أطراف تلك الحقبة إلى اللعبة اليوم. ويشكل الإسلاميون السياسيون وأنصار الرئيس التركي رجب طيب أردوغان مع طائفة واسعة من القوميين الأتراك، الكتلة التي تحكم البلاد. وتابع أنه إذا تغيرت الظروف، فسيعكس التحول السريع بين شركاء الائتلاف على السياسة الخارجية. لكن أردوغان سيستمر في نهجه ما دام على رأس السلطة تحت الخطاب الإسلامي القائم على أيديولوجيته الذي يشكل التحالفات ويكسرها.

ورقة أيا صوفيا

يعتبر قرار الرئيس التركي الأخير بإعادة تحويل أيا صوفيا من متحف إلى مسجد وإقامة صلاة الجمعة الأولى فيه انتصارا لاتباع الإسلام السياسي الذين دعوا إلى هذا القرار. ويصادف التاريخ الذكرى السنوية لمعاهدة لوزان، التي أنهت الأعمال العدائية رسميا بين الحلفاء والدولة التركية الوليدة التي خلفت الإمبراطورية العثمانية بعد

الحرب العالمية الأولى. وكانت رابطة شباب الأناضول قد نظمت احتجاجات وصلوات خارج مبنى أيا صوفيا، في حين نظمت مجموعات أخرى حملات قانونية لتحقيق هذا الهدف.

وبين أكويونلو أن أردوغان يهدف إلى استخدام قرار أيا صوفيا لإعادة تأكيد موقفه كزعيم للمسلمين في تركيا وخارجها، وكزعيم للإسلام السياسي في العالم. لكن هذه الخطوة خلقت قلقا كبيرا سيبيد تركيا عن أصدقائها السابقين في الغرب. حيث أثار قرار تحويل هذا المعلم إلى مسجد انتقادات في الخارج خصوصا في روسيا واليونان، وأعرب البابا فرنسيس عن "حزنه العميق" لهذا القرار. كما انتقدته نائبة رئيس البرلمان الألماني، كلوديا روت، معتبرة إياه "إعلانا للحرب على العلمانية". وإساعة استخدام للدين. وينتهك قرار الحكومة التركية بتحويل أيا صوفيا إلى مسجد مادتين من الاتفاقية الأوروبية لحقوق الإنسان وهما المادة 8 والمادة 2 من البروتوكول الإضافي الأول الملحق بالاتفاقية.



أنقرة ترفع منسوب التوتر مجددا

من جهة أخرى، يبقى أكويونلو غير متأكد من الفوائد المادية التي يمكن للحكومة جنيها من هذه الخطوة. وقال إن هذا الانتصار قد يكون باهظ الثمن محليا. حيث أراد أردوغان استخدام سلاح مهم في ترسانة الحكومة التركية بطريقة لن تؤدي إلى نتائج تعكس أهمية هذه الخطوة. ويرى أن القرار قد يعكس الأزمة التي تتخبط فيها هذه الحكومة أكثر من أي شيء آخر. فقد حاول أردوغان تعزيز قاعدته الإسلامية، ولكن استخدامه لورقة أيا صوفيا في هذه الفترة لا أهمية له، كما يجد صعوبة في رؤية فوائد هذه الخطوة من منظور انتخابي.

وكانت محكمة تركية عليا قد أعلنت هذا الشهر إبطال قرار تحويل أيا صوفيا إلى متحف والذي صدر في ثلاثينيات القرن الماضي. وفسر صدور الحكم أعلن أردوغان إعادة المبنى - الذي كان في الأصل كنيسة تعود إلى العصر البيزنطي قبل 900 عام قبل أن يستولي عليه العثمانيون - إلى مسجد وهو ما كان عليه منذ ذلك الحين وحتى عام 1934.

فوضى أردوغان تزعزع القوقاز من أبواب أذربيجان

التصعيد مع أرمينيا، لكن إدارته ليس لديها ما تكسبه من صراع طويل الأمد مع أرمينيا، والذي سيكون مدمرا لكلا الدولتين. يكمن مفتاح فهم أفعاله في حقيقة أن علفيف لن يتصرف دون الحصول على دعم أردوغان الكامل في مثل هذا الصراع. وإذا كان يعتقد أنه قادر على النجو بمثل هذه المواجهة بدعم تركي واسع، فمن المحتمل أن يبدو الصراع جذابا خصوصا عندما يكون محدودا وبمكاسب ملموسة.

ويمكن أن يتأثر منظور علفيف أيضا بحقيقة أن الاقتصاد الغني بالنفط في أذربيجان قد أدى إلى الإنفاق العسكري غير المسبوق لسنوات عديدة حتى الآن، والذي غير التوازن العسكري في المنطقة، ليصل إلى 14.8 مليار دولار سنويا اعتبارا من عام 2019. وبالمقارنة، بلغ إجمالي الناتج المحلي الإجمالي لأرمينيا العام الماضي 12.4 مليار دولار. لا توجد دولة تستثمر أضعاف خصوصها فقط من أجل استعراض القوة أو من أجل الرد، لذلك فإن كل طرف يستثمر مبالغ باهظة فإنه ينوي أو يخطط لاستخدام هذه القدرات. بالطبع، لا يتم كسب النزاعات العسكرية بمجرد امتلاك أجهزة عسكرية أكثر أو أفضل؛ ولكن يوجد في الحقيقة عوامل أخرى، بدءا من التدريب إلى الروح المعنوية، ومن العقيدة إلى القيادة، وكذلك

وأطلبت مواجهة عسكرية محتملة بين تركيا واليونان مساء الثلاثاء، وإضافة إلى التصعيد في شرق المتوسط يشير أكويونلو إلى أن الحروب بالوكالة مستمرة في سوريا بالفعل، لكننا نتحدث عن تطور محتمل للمواجهة المباشرة بين الجيشين السوري والتركي هناك وهو ما حدث إلى حد ما".

وكانت التحركات التركية للتنقيب عن الغاز شرقي البحر المتوسط قد أثار انتقادات كبيرة من اليونان وقبرص ومصر، خصوصا بعد توقيع أنقرة مذكرة تفاهم لترسيم الحدود البحرية مع حكومة الوفاق

وتشكل الاشتباكات الأخيرة على الحدود بين أرمينيا وأذربيجان دليلا آخر على أن نظام أردوغان لا يحدث سوى المزيد من الفوضى باسم "حماية مصالح تركيا". وطالما أنه قادر على بيع فكرة مصلحة تركيا لجمهوره المحلي، سيحافظ أردوغان على القدرة على استخدام موارد البلاد في مغامرات أكثر انتهازية في الخارج.

وركزت العديد من المناهض الإخبارية والمعلقين على تاريخ الصراع بين أرمينيا وأذربيجان، والذي يعود إلى عقود من الزمن إلى انحلال الاتحاد السوفيتي. ولكن كانت هناك أصوات قليلة بشكل نسبي أشارت إلى التوقيت الغريب للاشتباكات الأخيرة، ولفهم الوضع الخطير في القوقاز، يجب تحديد العديد من الجهات الفاعلة. لدى الرئيس الأذربي، إلهام علفيف، مخاوف داخلية من الضغط من أجل

تجد روسيا نفسها تواجه تركيا في كل مسرح في الجناح الجنوبي. وفي حين تهدف التحركات الانتهازية في ليبيا إلى توسيع نفوذها وقدراتها في منطقة البحر المتوسط، فإن موقعها الحالي في سوريا لا يتيح لها مساحة كبيرة.

لا يمكن أن تسمح روسيا بتقويض نفوذها في القوقاز من خلال اعتماد نموذج تركي أذربيجاني ضد أرمينيا

لا تستطيع روسيا ببساطة تحمل الخسارة في سوريا، وبالتأكيد لا يمكن أن تسمح بتقويض نفوذها في القوقاز من خلال اعتماد نموذج تركي أذربيجاني ضد أرمينيا. ولا نقل منطقة القوقاز قيمة عن شبه جزيرة القرم وأوكرانيا، فهي منطقة حيوية بالنسبة لأولويات السياسة الخارجية الروسية طويلة المدى.

وبخصوص موقف إدارة الولايات المتحدة الحالية فيدا غير متكافئ ومتناقض في ما يتعلق بحضورها ومصالحها طويلة المدى في منطقة البحر المتوسط ومنطقة الشرق الأوسط،

والبونان والجهات الفاعلة الأصغر، في حين أن مؤيديها الثابت الوحيد هو دولة قطر الخليجية، التي تواصل ضخ الأموال في الاقتصاد التركي المتدهور عبر طرق متعددة.

وبفضل الانقسامات المزمنة التي أحدثتها الإدارة الأمريكية، وأيضا بفضل فقدان التوجيه والحسم في الاتحاد الأوروبي، تمكن نظام أردوغان من البقاء والازدهار في ظروف كانت ستدمره مئة مرة في أي ظرف تاريخي آخر. وفي ظل هذه الظروف، يواصل أردوغان مضاعفة رهائاته، على أمل أن يستطيع جر الكيانات الأكبر إلى الصراع. وتعتبر تصرفات الزعيم التركي في ليبيا مثلا حيا على كيفية تحول النظام الحالي لتركيا إلى نقطة ضعف في الناتو، مما يهدد إما بتدمير أقوى تحالف عسكري في العالم وإما جره إلى سلسلة من الصراعات التي لا نهاية لها.

وكونه يستثمر بعمق في نشر الصراع، ويشعر بحالة من عدم الاستقرار الناجم عن الانهيار الوشيك للاقتصاد التركي، فإن استعداد أردوغان لإرسال رسالة إلى روسيا في ما تعتبره موسكو "موتى قدمها" يعد امتدادا طبيعيا لسياساتها الحالية. وعلى الرغم من كل المناورات الدبلوماسية لتجنب المواجهة المباشرة،

وحتى إذا تمت إدارة هذه الأزمة المباشرة وتم تجنب الصراع في الوقت الحالي، فلا شيء يغير التوقعات الاستراتيجية على المدى المتوسط والطويل. وبعبارة أخرى، ما لم يتغير ميزان القوى أو دوافع الفاعلين الرئيسيين، فسوف ترى هذه الأنواع من الصراعات بل والأنسوا من ذلك في المستقبل.

ويدخل نظام أردوغان في سلسلة من المواجهات غير الراححة ضد أعداء صنعهم بنفسه، في جغرافية واسعة النطاق، تمتد من ليبيا إلى سوريا. وفي مختلف مسارح الصراع، تواجه تركيا روسيا وفرنسا وإسرائيل ومصر



كارابكير أكويونلو
شبح المواجهة في بحر إيجه أصبح أكثر وضوحا

